هل كان جاداً فيما تفوه به من عبارات خرقاء ، تعافها النفس الطيبة ، ويأباها القلب الحنون ؟

أفى مكنته أن يتخلى عن « عزيزة » يسلمها لمثل هذا المصير ، فلا يكون لها معه رجعة وعيش ؟

أهذا الذى يشهد ، منتهى حبه وهواه ، يعجز — وإن هو أوتى قوة شمشون الخارقة — أن يحميه مبقياً عليه ؟

وأحس « عزيز » بقواه تنسرق منه ، وبالتهافت يستأثر به ، فعمد إلى شتات نفسه يستجمعه فى عناء ، وتراجع هائماً على الطريق ، متفزع الفكر ، حائر الطرف ، حتى تلقفته سيارة ، فارتقاها يحث السائق أن يسرع به إلى الوجهة التى رسمها له ، واعدا إياه أن يبذل له العطاء فى سخاء .

وعندما كفت السيارة عن العدو ، هرع يصعد الدرج ، مهتاج الوجدان ، وفتح باب الشقة على عجل ، ينادى زوجته ملهوف الصوت ، فظفر بها تصفف المائدة تعدها للغداء ، فارتمى فى أحضانها يطوقها بذراعيه . . .

وكلما رف للرمس فى وجدانه المتداعى رفيف ، احتدم عناقه واحتد تشبثه ، ولا يملك من نفسه إلا أن يضم « عزيزة » إلى صدره فى عنف وإصرار ، كأنما يخشى عليها ، إن هو أرخى عنها ساعديه ، أن تفلت منه إلى وادى الحرمان ، وأن ترحل عنه إلى عالم الصمت !